جُمْهُورِيَّةُ العِرَاقِ

دِيوَانُ الوَقْفِ الشِيْعِيّ

تُرَاثُ الحِلَّة

مَجَلَّةٌ فَصْلِيَّةٌ مُحَكَّمَةٌ تُعْنَى بِالتُّرَاثِ الحِلِّيّ

تَصْدُرُ عَنِ:

العتبة العباسية المقدسة

قسم شؤون المعارف الإسلامية والإنسانية

مركز تراث الحلة

معتمدة لأغراض الترقية العلميّة

السنة (الثانية) / المجلَّد (الثاني) / العدد (الخامس)

١٤٣٩هـ/٢٠١٧م

أقلامٌ نجفيَّةٌ مِن أصولٍ حِلِّيَّةٍ
مُحمَّد عليّ كمال الدين وكتابه
(النجف الأشرف في ربع قرن منذ ١٩٠٨م)
أنموذجًا

Najaf Pens from Hilla Origins
Muhammad Ali Kamaluddin and his Book
(Honorable Najaf in Quarter of Century Since 1908) as an Example

أ.د. مقدام عبد الحسن باقر الفيَّاض

جامعة الكوفة / كلِّيَّة التربية للبنات

Prof. Dr. Miqdam Abdul Hasan Baqir Al-Fayadh

Kufa University of Kufa\College of Education for Girls

ملخَّص البحث

شهد العراق ظهور نخبة طليعيَّة مثقَّفة من أبنائه حاولت النهوض العلميّ والتربويّ ببلدها بعد تأسيس الدولة العراقيَّة المعاصرة عام ١٩٢١م، وذلك لمساعدته على اللحاق بركب التقدُّم الحضاري الذي شهده العالم آنذاك . تناول البحث الجهود العلمية لكاتبٍ حِلِّيٍّ نجفيٍ بارز، هو محمد علي كمال الدين الذي يُعدّ من المؤرخين العراقيِّين المعاصرين المعروفين، وشاهدٍ حيٍ على حقبة مهمة من تأريخ مدينته ووطنه العراق. اتسمت أعماله – لا سيما الكتاب موضوع البحث – بدقة التوصيف للوقائع التاريخيَّة ، التي رسمها من خلال ذاكرة فذة قلّ نظيرها . وكانت لديه ثقافة واسعة ، اكتسبها من خلال اطلاعه المعمق على مصادر المعرفة التاريخيَّة الشفاهيَّة وعلاقاته الاجتماعيَّة الطيبة .

سلّط المبحث الأوّل الضوء على أسرة آل كمال الدين الحِلِّيَّة ومكانتها العلميَّة، وما أنجبته من أعلام في مجال الدين والأدب والسياسة، مع الإشارة الى الأعلام والأسر النجفيَّة التي تنحدر من أصول حِلِّيَّة، وما تركته مدينة الفيحاء من الآثار البارزة والبصمات الطيبة على قرينتها في العلم والجهاد النجف الأشرف. ودرس جزءًا مهمًّا من حياة كاتبنا (محمَّد عليّ كمال الدين) بدءًا من ولادته وعائلته ودراسته، ومن ثم مساهمته الفاعلة مع النخبة النجفيَّة المثقَّفة في الحركة الوطنيَّة العراقيَّة منذ مرحلة مبكِّرة من القرن العشرين. وتمَّ التعريف الموجز بأهمِّ نتاجاته الفكريَّة . أمَّا المبحث الثاني فقد خُصِّص لدراسة كتاب (النجف الأشرف في ربع قرن منذ عام ١٩٠٨) ، ومحاولة التعرف على أهم مضامينه ومادَّته والأحداث التاريخيَّة التي عالجها وأهميَّته العلميَّة والأسلوب

الـذي اتَّبعه مؤلِّفه في كتابتـه . فيما تناول المبحث الثالث مصـادر الكتاب وكيفيَّة توثيق المؤلِّـف لإحالاته ورؤيته في المسـانيد التي ترجع لها معظـم معلوماته . واعتمد البحث جملـة متنوِّعـة من المصادر، تقـف في مقدِّمتها مؤلَّفات محمَّد عليّ كـمال الدين وعدد من المطبوعات التي تخصُّ تاريخ النجف الأشرف وكتب الموسوعات والتراجم والسِّير.

Abstract

After establishing the contemporary Iraqi state, an educated elite of Iraqi people arose and tried to help their country make progress in educational and scientific aspects spread all over the world. This paper deals with scientific efforts of Najaf famous writer, Muhammed Kamal A'deen who is considered to be one of the contemporary Iraqi historians well-known for their interests in honorable Najaf history, and he is a living witness of the important period of the history of his city and country, Iraq. His works, especially the book dealt with in this paper, were characterized by describing the historical events exactly. He had wide knowledge which he got through his deep reading of historical knowledge sources and his good social relationships.

The first topic shed the light on Kamal A'deen's family, its scientific position and its famous men in the field of religion , literature and policy. It also studies an important part of our writer's life starting from his birth , family and study then his effective contribution with educated Najaf elite in Iraqi national

movement since an early stage of twentieth century.

As for the second topic, it deals with the book entitled "Honorable Najaf in quarter of Century since 1908" and an attempt to know its contents and historical events mentioned in it and its scientific importance and the method followed by its author in his writings.

While the third topic , it studies book sources , how the author write down and his point of view about references from which all his information is taken from.

This paper depends on various group of sources. The first important ones are Mohammed Kamal A'deen's Book , number of publications related with the history of honorable Najaf and books of encyclopedias and biographies.

المقدّمة

يُعـدُّ محمَّد عليّ كـمال الدين الحِلِّيّ النجفـيّ من العلماء البارزيـن الذين جادت بهم مدينـة الحِلَّـة الفيحاء على قرينتهـا في العلم والجهاد النجـف الأشرف، وهو فضلًا عن ذلـك من كبار التربويِّين العراقيِّين المعاصريـن الذين عُرفوا باهتمامهم بالكتابة في تاريخ العـراق عمومًا، والنجف الأشرف على نحو الخصوص، وشـاهدًا حيًّا على حقبة مهمَّة مـن تاريخ وطنـه العراق. اتَّسـمت أعماله- ولاسـيما الكتاب موضـوع البحث- بدقَّة التوصيـف للوقائع التاريخيَّة التي رسـمها بذاكرة فـذَّة قلَّ نظيرها. وكانـت لديه ثقافة واسعة، اكتسبها في ضوء اطِّلاعه المعمَّق على مصادر المعرفة التاريخيَّة الشفاهيَّة والمدوَّنة، وعلاقاته الاجتماعيَّة الواسعة.

سـلَّط المبحث الأوَّل الضـوء على أسرة آل كـمال الدين الحِلِّيَّة ومكانتهـا العلميَّة، وما أنجبته من أعلام في مجال الدين والأدب والسياسة في موطنها الأوَّل (مدينة الحِلَّة)، ودرس جـزءًا مهـمًّا من حياة كاتبنـا (محمَّد عليّ كـمال الدين) بدءًا مـن ولادته وعائلته ودراسته، ومن ثمَّ مساهمته الفاعلة مع النخبة النجفيَّة المثقَّفة في الحركة الوطنيَّة العراقيَّة منذ مرحلة مبكِّرة من القرن العشرين. والتعريف الموجز بأهمِّ نتاجاته الفكريَّة.

أمَّـا المبحث الثاني فقد خُصِّص لدراسـة كتاب (النجـف الأشرف في ربع قرن منذ عام ١٩٠٨م)، ومحاولة تعـرُّف أهمِّ مضامينه ومادَّته، والأحداث التي عالجها، وأهميَّته العلميَّة، والأسلوب الذي اتَّبعه المؤلِّف الحِلِّيّ النجفيّ في كتابته.

وتنـاول المبحث الثالث مصادر الكتـاب وكيفيَّة توثيق المؤلِّف لإحالاته ورؤيته في المسانيد التي ترجع لها معظم معلوماته. واعتمد البحث جملة متنوِّعة من المصادر، تقف في مقدِّمتهـا مؤلَّفـات محمَّد عليّ كمال الديـن، وعدد من المطبوعات التـي تخصُّ تاريخ النجف الأشرف، وكتب الموسوعات والتراجم والسِّيَر.

المبحث الأوَّل

مؤلِّف الكتاب.. أسرته الحِلِّيَّة النجفيَّة وأثره في الحركة الوطنيَّة العراقيَّة

تعدُّ مدينة الحِلَّة (تلك المدينة العراقيَّة العريقة، ٦٠ كم شمال شرق النجف) إحدى أهمِّ المراكز الحضريَّة التي انحدرت منها الكثير من الأسر النجفيَّة العلميَّة البارزة، وقد حدث انتقال بعض الحِلِّيِّين إلى النجف في مراحل تاريخيَّة مختلفة، ابتدأت منذ أواخر القرن الثامن عشر الميلاديّ، تحت ضغوط سياسيَّة واقتصاديَّة وأمنيَّة متشابكة، اجتاحت البلاد في العهد العثمانيّ، وجعلتها عرضة للصراعات القبليَّة الدامية والحالة المعاشيَّة المُدقعة، وهاجر عددٌ من أبنائها إلى النجف؛ طلبًا للعلم وحبًّا في جوار مرقد سيِّد الأوصياء الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام. ويبدو أنَّ نوعيَّة المهاجرين الحِلِّيِّين كانت من فئة متميِّزة، فقد ظهرت منهم بيوتات علميَّة اختارت النجف موطنًا مؤقَّتًا أو دائميًّا لها، مثل (آل القزوينيّ) ومنهم العلَّامة السيِّد مهديّ بن حسن الحسينيّ القزوينيّ الحِلِّيّ، عالمًا جامعًا من الفقهاء الأصوليِّين، وُلد في الحِلَّة وعاش ونشأ وتوفِّي في النجف سنة ١٨٨٢م[1]. و(آل الطريحيّ) ومنهم الشيخ فخر الدين الطريحيّ صاحب كتاب مجمع البحرين (توفِّي في النجف سنة ١٧٠٧م)، و(آل الشمَّاع) وينسبون إلى نويصر المزيديّ الأسديّ، و(آل سماكة) المعروفين بعلمائهم وأدبائهم الأفاضل، رجعوا إلى الحِلَّة في نهاية القرن الرابع عشر الهجريّ، و(آل السهلاويّ) أسرة كريمة فاضلة، تولَّت سدانة مسجد السهلة المعظَّم، و(آل الخضريّ، آل الشيخ راضي، آل كاشف الغطاء) وكلُّهم يُنسبون

إلى جدِّهم الشيخ خضر بن محمَّد المالكيّ الذي هاجر من قرية جناجة في الحِلَّةإلى النجف الأشرف في مطلع القرن الثامن عشر الميلاديّ، وغيرهم كثير من الأسر النجفيَّة المرموقة الحِلِّيَّة الأصل[٢]. وهناك المدرسة (السليميَّة) في النجف، بناها مرجع الطائفة في وقته الشيخ الحِلِّيّ مقداد بن عبد الله السيوريّ الأسديّ (توفِّي سنة ١٤٠٧م)، وهي مدرسة علميَّة دينيَّة، مازالت شاخصة إلى الآن بحُلَّتها الجديدة في وقتنا الحاضر[٣].

والجدير بالذكر أنَّ كثيرًا من الحِلِّيِّين قد احتلوا مواقع علميَّة وثقافيَّة مرموقة في مجالس النجف ومنتدياتها وجمعيَّاتها وحوزتها العلميَّة الرشيدة، لدرجة أنَّ لقب (الحِلِّيّ النجفيّ)، و(الحِلِّيّ الغرويّ)، و(الحِلِّيّ المشهديّ) قد شاع في أوساط الحوزويِّين[٤]، ومنهم على سبيل المثال لا الحصر الشيخ حسين بن عليّ الحِلِّيّ النجفي، وهو أحد نوابغ عصره، تميَّز بالتحقيق والتدقيق، ويعدُّ من أبرز أساتيذ المرجع الدينيّ الأعلى الحاليّ السيِّد عليٍّ الحسينيِّ السيستانيّ دام ظله[٥].

ينتسب المؤلِّف إلى أسرة آل (كمال الدين)، وهي من الأسر الحِلِّيَّة العلميَّة، ذات المكانة الدينيَّة السامية بين أهالي تلك المدينة، اشتُهرت بهذا الاسم (كمال الدين) نسبةً إلى الجدِّ الثاني عشر لمؤلِّفنا، والذي ساعدته منزلته الروحيَّة وانحداره إلى النسب الحسينيّ العلويّ الطاهر أن يكون مرجعًا للإفتاء وحلِّ الخصومات جنوب شرق الحِلَّة[٦]، وأن يتولىَّ عدد من ذريَّته نقابة الأشراف هناك[٧]، حينما كانت تلك المدينة تعدُّ حاضرة العراق العلميَّة والاقتصاديَّة[٨]، ولاسيما أنَّ الحياة الفكريَّة انتعشت واستقرت في مدينة الحِلَّة منذ أواسط القرن السابع الهجريّ، في عهد اثنين من علمائها اللامعين، وهما الشيخ ابن إدريس العجليّ الحِلِّيّ (ت ٥٩٨هـ)، وبعده المحقِّق الحِلِّيّ(ت ٦٧٦هـ)، وكان بروزهما إيذانًا بانتعاش المدرسة الحِلِّيَّة؛ إذ أصبحت من الحواضر العلميَّة الكبرى، وأخذت تستقطب عددًا كبيرًا من العلماء وطلبة العلوم الدينيَّة، وانتقل معهم المركز العلميّ

من بغداد إلى الحِلَّةبعد الغزو المغوليّ[٩]، وشهدت مدينة الحِلَّة حركة علميَّة أوصلتها إلى مكانتها المرموقة بين المدارس الفكريَّة في العالم الإسلاميّ، واستمرَّ عطاؤها بين مدٍّ وجزرٍ طوال المدَّة التي أعقبت ذلك، ولاسيما مع ظهور عَلَمٍ حِلِّيٍّ بارز هو فخر المحقِّقين محمَّد بن الحسن بن يوسف بن المطهَّر الحِلِّيّ من وجوه الطائفة وأعيانها (ت ٧٧١هـ)[١٠].

وشهدت المدينة نهضة أدبيَّة كبيرة، لعوامل ذاتيَّة، تتعلَّق معظمها بطبيعة الحِلَّة الساحرة، والمجتمع الحِلِّيّ الولَّاد للمبدعين، وكان لهذه النهضة المتدفِّقة بفضل طبيعتها المتفرِّدة أثرٌ مشرِّفٌ في حفظ تراث الأمَّة الأدبيّ وبعثه من جديد، وتحصين هويَّة العراق من الضياع طيلة العهد العثمانيّ، على الرغم من ضراوة التحدِّيات التي كانت تواجه البلاد، والمدِّ الأعجميّ المحدق به، والولاة الأجانب المُتَّسم أكثرهم بطابع السطوة والتسلُّط[١١]. وكان للأجواء العلميَّة والروحيَّة والعوامل التي اختلطت بين الدين والعلم أثر بالغ في ظهور نخبة سياسيَّة، كانت لها كلمتها عن طريق عملها في الحركة الوطنيَّة، واحتكاكها بالأوساط الجماهيريَّة، وكذلك عملها في المؤسَّسات الدستوريَّة والحزبيَّة، ودوائر الدولة، وظهرت شخصيَّات حِلِّيَّة ناشطة لها مواقف وأفكار، استطاعت أن تحظى باحترام وقبول لدى كثيرٍ من شرائح المجتمع، وعُرِفت على صعيد السياسة الداخليَّة للعراق، ومنها شخصيَّات بارزة من أسرة آل كمال الدين عُرفت بروحها القوميَّة ودعمها للمواقف الوطنيَّة، والقوى المناضلة ضد الاستعمار، لاسيما منذ الاحتلال البريطانيّ للعراق ١٩١٤-١٩٢٠م[١٢].

وكذلك أنجبت الأسرة عددًا ليس بالقليل من العلماء المجتهدين ومن الأدباء والشعراء البارزين، نذكر منهم أبا عليّ حسين بن كمال الدين الحسينيّ الحِلِّيّ (حيًّا سنة ١٠٩٧هـ)، عالم فقيه، وشاعر محدِّث، له كتاب في النحو، وكتاب في التصريف[١٣].

ومن الشعراء السيِّد جعفر الحِلِّيّ (١٨٦١-١٨٩٧) ذو المنزلة الرفيعة في الأوساط العلميَّة والأدبيَّة ومن مشاهير شعراء عصره، له الديوان المعروف بـ(سحر بابل وسجع البلابل)[١٤]، ولدينا أيضًا (حمد كمال الدين) عالم وأديب، و(هاشم كمال الدين) عالم فاضل وأديب، انتقل إلى الكوفة معتمدًا للمرجعيَّة الدينيَّة حتى وفاته عام ١٩٢٣[١٥]. ووالده السيِّد عيسى كمال الدين الذي يُعدُّ من كبار علماء النجف الأشرف، تميَّز بأفقه الواسع وفكره النيِّر الجريء ووطنيَّته العالية، ارتحل إلى الاحواز واعظًا ومرشدًا حتَّى توثقت علاقاته مع عشائرها[١٦]. وبرز من آل كمال الدين الحِلِّيِّين (هادي حمد كمال الدين ١٩٠٥-١٩٨٦م) عالم وشاعر وأديب كبير، درس في الحوزة العلميَّة النجفيَّة، ولـمَّا عاد إلى مدينته أسَّس في الحِلَّة المدرسة الكماليَّة للعلوم الدينيَّة، وأصدر مجلَّة التوحيد وجريدة الحقيقة، أصدر عددًا من المؤلَّفات، منها: (أزاهير شتَّى، التخميس والتشطير في أصحاب آية التطهير) بجزأين، (فقهاء الفيحاء)، وهو كتاب تراجم لأعلام الحِلَّة من الفقهاء بجزأين، (من مخازي الشيوعيِّين)، (تحفة الحضر والأعراب في علم النحو والإعراب)، وهو أرجوزة في علم النحو، ديوان شعر ضخم[١٧].

ونظرًا لاكتساب النجف الأشرف المركزيَّة الفكريَّة بين المسلمين الشيعة، وانتقال ثقل المرجعيَّة الدينيَّة العليا من الحِلَّة وسامراء إليها مع نهاية القرن الثامن عشر ومطلع التاسع عشر، انتقلت إليها عوائل معروفة من كربلاء والحِلَّة، ومنها (آل كمال الدين) في أواسط القرن التاسع عشر[١٨].

وُلِد السيِّد محمَّد عليّ بن عيسى بن محمَّد حسن بن عيسى بن كامل بن منصور بن كمال الدين الحسينيّ الحِلِّيّ في مدينة النجف الأشرف سنة ١٩٠٠م[١٩] في عائلة جليلة القدر، نشأ على يد والده، وأخذ منه علوم العربيَّة من بلاغةٍ ونحوٍ ومنطقٍ، ثمَّ درس الفقه وأصول الحديث في الحوزة العلميَّة الشريفة، وظهر تفوُّقه على أقرانه في

جانبٍ مهمٍّ منها، وهو اللغة والأدب[٢٠]. وقد شرع بتطوير قدراته الذهنيَّة ومهاراته الكتابيَّة بمطالعة الصحف والمجلَّات العربيَّة الحديثة، ولاسيما المصريَّة والسوريَّة منها، ومراجعة الكتب في دار الكتب (قراءة خانة) أو ممَّا يستعيره من كبار الأدباء، وقد تعلَّم شيئًا من التركيَّة في المدرسة الرشديَّة الحكوميَّة المسائيَّة في النجف[٢١].

ومنذ عام ١٩١٩م ظهر نشاطه المتصاعد في إطار الحركة الوطنيَّة العراقيَّة ضد الاحتلال البريطانيّ؛ إذ استعان به المثقَّفون الوطنيُّون في ضمن وفد نجفيّ لإقامة صلات وثيقة مع أقطاب الحركة الوطنيَّة في بغداد، مثل الحاج محمَّد جعفر أبو التمَّن(١٨٨١-١٩٤٥م)، والسيِّد محمَّد الصدر(١٨٨٢-١٩٥٦م)؛ وذلك للحيلولة دون تشكيل مجالس الألوية التي أراد منها المحتلُّون أن تكون قواعد إسناد لهم مستقبلا[٢٢].

عمل كمال الدين بوصفه عضوًا بارزًا ضمن مجموعة شبابيَّة نجفيَّة كانت تعمل كنواة تحريضيَّة ضد إدارة الاحتلال البريطانيّ، وحركة تمهيديَّة للثورة عليه، منهم الشيخ محمَّد رضا الشبيبيّ (١٨٨٩-١٩٦٥م)، وأخوه محمَّد باقر الشبيبيّ (١٨٨٩-١٩٦٠م)، وأحمد الصافيّ النجفيّ (١٨٩٧-١٩٧٧م)، وسعد صالح جريو (١٨٩٤-١٩٤٩م)، متَّخذين من محلِّ إقامة محمَّد عليّ كمال الدين في إحدى المدارس الدينيَّة ومكتبة عبد الحميد زاهد داخل الصحن الحيدريّ الشريف مقرًّا لاجتماعاتهم، ومنطلقًا لتوسيع دائرة نشاطهم الرافض لمبدأ الحماية البريطانيَّة بأيِّ صورة إلى مختلف أنحاء العراق[٢٣].

انضم محمَّد عليّ كمال الدين مع نخبة من أبرز زملائه من الطليعة المثقَّفة إلى الجناح السياسيّ لجمعية النهضة الإسلاميَّة النجفيَّة، والتي استهدفت الدعوة لتخليص العراق من السيطرة البريطانيَّة، وإثارة اهتمام المسلمين؛ لضمان استقلاله، وكان بعض أعضاء الجمعية من حَمَلة السلاح المندفعين قد قاموا في (١٩ آذار ١٩١٨) بالهجوم على مقرِّ الحاكم البريطانيّ في النجف وقتل الكابتن مارشال؛ لتكون هذه الحادثة شرارة لاندلاع

انتفاضة وطنية عارمة، واجهها البريطانيُّون بكثيرٍ من وسائل العنف والقتل والتنكيل، وحاصرت الأهالي وقاتلتهم حتَّى اضطرَّتهم للتسليم، وقامت باضطهاد الوطنيِّين النجفيِّين وتعذيبهم، ونُفي أكثر من مئة وعشرين شخصًا خارج بلدهم، من بينهم محمَّد عليّ كمال الدين[٢٤].

وبعد عودته إلى العراق، بقي كمال الدين يعمل مع عدد من العلماء المجاهدين والمثقَّفين الوطنيِّين يتقدَّمهم الشيخ عبد الكريم الجزائريّ، وأخوه محمَّد جواد الجزائريّ، والشيخ محمَّد جواد الجواهريّ، والشيخ عبد الرضا الشيخ راضي، فضلًا عن عدد كبير من الأدباء والوجهاء والأعيان، ونتيجة للنشاطات الواسعة التي اضطلع بها (حزب النجف) التحق بهم كثيرٌ من زعماء عشائر الفرات الأوسط[٢٥].

وسرعان ما انتشرت دعاية الحزب، واستطاع أن يتَّفق مع قادة الحركة الوطنيَّة بأن تقام المآتم الحسينيَّة والمواليد النبويَّة في بغداد وبعض المدن العراقيَّة، ويحضرها أبناء كلتا الطائفتين؛ لتكون قاعدة لإقامة المظاهرات وانتخاب الوفود الممثِّلة لأبناء العراق[٢٦].

ومع اندلاع الثورة العراقيَّة الكبرى سنة ١٩٢٠م أضحى كمال الدين أحد أبرز كوادرها الإعلاميَّة المتقدِّمة؛ إذ أشرف على تحرير جريدة (الاستقلال) النجفيَّة، وشارك في تحرير جريدة (الفرات)، وهما لسان حال الثورة، والناطق باسم قياداتها، والناقل لأخبارها ويوميَّاتها، وكان يشارك في الوقت نفسه مع الشاعر الثائر في تحرير البلاغات العسكريَّة التي كانت تطبع في النجف باسم الثورة، ويقوم ببثِّ الدعاية لفتاوى علماء الدين الثائرين، وإيجاد حركة إعلاميَّة لمراسلاتهم المتبادلة مع الحكَّام والضبَّاط البريطانيين[٢٧].

ولـمَّا فتحت الثورة مكاتب لها في بعض المدن المهمَّة، تولَّى محمَّد عليّ كمال الدين

إدارة مكتب النجف مع جمع من الشباب الواعي، من بينهم قريباه (حسين وسعيد كمال الدين)، وحضر في ميادين القتال حينما رافق المجاهدين المرابطين في معسكرهم جنوب الحِلَّة، وقام بتسجيل مذكِّرات مهمَّة عن سَير المعارك اليوميَّة مدَّة بقائه هناك[٢٨].

وبعد إخفاق الثورة في تحقيق أهدافها على المستوى المنظور، وسقوط مدنها بيد المحتلِّين، لجأ هو وعدد من زملائه إلى الكويت، ورجع إلى البلاد بعد صدور العفو العام عن الثوَّار في العراق[٢٩].

ومع تأسيس الدولة العراقيَّة الحديثة بتولِّي فيصل بن الحسين عرش العراق، توجَّه محمَّد عليّ كمال الدين إلى مجال التعليم الذي أبدع فيه في الحقيقة، مخصِّصًا له جلَّ وقته وغاية مجهوده؛ إذ التحق بدار المعلمين العالية ببغداد عام ١٩٢١م، وتخرَّج منها، إذ عُيِّن معلِّمًا في المدارس الابتدائيَّة، فمديرًا لإحداها، ثمَّ عمل مدرِّسًا في بعض المدارس الثانويَّة، وأخيرًا ملاحظًا لمجلَّة المعلِّم الجديد، وكان أوَّل مقال كتبه قد نشرته مجلَّة (اللسان) البغداديَّة[٣٠].

ولم يكتفِ بذلك، فقد شرع مع حسين كمال الدين بتأسيس أوَّل مدرسة أهليَّة عربيَّة حديثة في النجف عام ١٩٢٢م، هي مدرسة (الغريّ)[٣١] بقسمين: نهاريّ ومسائيّ، يدرس فيها الطلبة المواد العلميَّة والإنسانيَّة، في محاولة جادَّة مبكِّرة للمزج بين الثقافتين التقليديَّة والعصريَّة في النجف، تلك المدينة التي عُرِفت ببيئتها المحافظة[٣٢].

بعد ذلك أُحيل محمَّد عليّ كمال الدين إلى التقاعد بطلبٍ منه عام ١٩٥٩م، بعد رحلة عمل طويلة مليئة بالعطاء في حقل التربية والتعليم، تلك المرحلة التي امتدَّت إلى ما يقارب الأربعين عامًا، كان فيها مثالًا طيِّبًا للمعلِّم الحريص الموجِّه، والمربِّي المخلص الشريف[٣٣].

توفِّي كمال الدين في محلِّ سكناه الجديد في بغداد يوم الاثنين الموافق ٧ شباط ١٩٦٦، فحُمِل إلى النجف الأشرف ودُفِن فيها[٣٤]، ورثاه الأدباء وأصحابه وعارفو فضله.

وفي مُجمل القول، فإنَّ محمَّد عليّ كمال الدين كان واحدًا من المثقَّفين المبرزين في النجف في مرحلة حسَّاسة من تاريخ العراق المعاصر، حفلت بكمٍّ كبيرٍ من العمل الوطنيّ التأسيسيّ للدولة العراقيَّة الفتيَّة، تسابق فيها المثقَّفون الوطنيُّون لأخذ دورٍ فعَّالٍ في المشاركة والقيادة في البلاد، سواء منهم ذوي الخلفيَّة الفكريَّة التقليديَّة أم التوجُّه الحداثيّ المتألِّق، أو الذين مزجوا بينهما.

كان كمال الدين كاتبًا شاعرًا أديبًا باحثًا محقِّقًا، ترك من النتاجات العلميَّة ما تذكره المكتبة العربيَّة بكلِّ اعتزازٍ وفخرٍ، وتراوحت مؤلَّفاته بين كتبٍ ومحاضراتٍ ومقالاتٍ، وله كتب في المذكِّرات والتراجم، نشر أجزاءً من كتبه في مجلَّات نجفيَّة مختلفة، مثل (مجلَّة الهاتف)، و(مجلَّة البيان)، و(مجلَّة الاعتدال)، و(مجلَّة الغريّ)، ونذكر من مؤلَّفاته ما يأتي:

- **كتاب (النجف الأشرف في ربع قرن منذ عام ١٩٠٨م)**: وهو ما سندرسه تفصيلًا في المبحث الثاني.
- **سعد صالح**: من عنوان الكتاب هذا، يمكن الاستدلال على مضمون الكتاب، إذ تناول فيه حياة أحد مقرَّبيه ورفاق دربه الذين شاركوه شبابه ونضاله في مرحلة مقاومة الاحتلال البريطانيّ وثورة العشرين، طُبع في بغداد عام ١٩٤٩م، وهو كتاب قيِّم، تمَّ فيه تسجيل نشأة (سعد صالح)[٣٥]، وبدايات حياته، وتطوُّر آرائه في السياسة والأدب والاجتماع، وتولِّيه مناصب سياسيَّة وإدارية مثل متصرِّفيَّة لواء الديوانية، ونائب في البرلمان ووزارة الداخلية عام ١٩٤٦م، وتضمَّن تفاصيل مهمَّة

وطريفة عن سيرته وعلاقاته الاجتماعية وصلاته العائليَّة والمراسلات الشخصيَّة التي حملت معلومات شيِّقة[٣٦].

- **ذكرى السيِّد عيسى آل كمال الدين**: وهو عبارة عن كتيِّب صغير، لا يتعدَّى عدد صفحاته الخمسة والعشرين، طُبع في بغداد عام ١٩٥٧م، ولا يقتصر على القصائد والمقالات التي قيلت في الحفل التأبينيّ الذي أقيم بمناسبة مرور أربعين يومًا على وفاة والده، بل حوى على معلومات مهمَّة عن حياة الأخير ونضاله، ومعلومات عن أصل الأسرة ونسبها[٣٧].

- **مذكِّرات السيِّد محمَّد عليّ كمال الدين**: عمد كمال الدين إلى كتابة مذكِّراته الخاصَّة، والتي بدأها بالتعريف عن شخصيَّته ونبذة مختصرة عن حياته، ثمَّ بعد ذلك، كتب مشاهداته عمَّا عاصره من أحداث العراق بشكلٍ عام، والنجف على نحو الخصوص، وفي صفحات لاحقة، قام ببيان دور بعض زعماء الحركة الوطنيَّة من مثقَّفين وشيوخ عشائر. وتُعدُّ هذه المذكِّرات مهمَّة جدًّا، فيما تحمله بين ثناياها من ذكريات شابٍّ معاصرٍ للثورة، وملاحظات أديبٍ كان في طليعة الشباب الواعي الذي اعتمدت عليه قيادتها، ولاسيما في الجانب الإعلاميّ. وقد رافق الثورة منذ بدء الدعوة لها وتخطيطها ومفاوضاتها وساحات القتال فيها، بحيث عمل على تصويرها تصويرًا رقيقًا في مذكِّراته. وقد عمل الكاتب كامل سلمان الجبوريّ على جمع هذه المذكِّرات مع بعض الإضافات إلى المواضع التي تحتاج بعض الشرح والإيضاح[٣٨].

- **التطوُّر الفكريّ في العراق**: طُبع عام ١٩٦٠م، ضمَّ فيه المؤلِّف آراءه الخاصَّة بالتيَّارات الفكريَّة وتطور التعليم في العراق منذ مطلع القرن العشرين حتى قيام ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨م[٣٩].

- **ثـورة العشريـن في ذكراها الخمسـين معلومات ومشـاهدات عن الثـورة العراقيَّة الكبرى لسـنة ١٩٢٠م**: طُبع في بغداد عام ١٩٧١م، ويُعدُّ واحدًا من أبرز مؤلَّفات محمَّـد عليّ كمال الدين في الجانب السـياسيّ، لما أثبته من معلومـات مهمَّة عن ثورة العراق عـام ١٩٢٠، وما اتَّصف فيه الكتاب من دقَّـة وتحليل للأحداث، وعرض لمعظم تفاصيل الثورة في أنحاء الفرات الأوسط، وأحوال العشائر الثائرة ورؤسائها، وأبرز ما تمخَّضت عنه من نتائج[٤٠].

ولم ينـسَ محمَّـد عليّ كمال الديـن أن يبدع في الكتابة عن حقل التربيـة والتعليم، إذ وضع في ذلك عددًا من النتاجات القيِّمة، منها: رسالة في تيسير اللُّغة العربيَّة، ألَّفها سنة ١٩٣٩ على شكل تقرير أراد به انتقاد عمل اللجنة التي شكَّلتها وزارة المعارف المصريَّة، تحتوي آراءً نافعة ومبتكرة في اللُّغة العربيَّة، تهدف إلى تيسير اللُّغة نفسها لا تيسير قواعد اللُّغة، مع شواهد يُثبت فيها صحَّة ما ذهب إليه[٤١].

ولديه رسـالة في (تلخيص وتنسـيق مرشـد المتعلم)، وهو عمل معرَّب عن اللُّغة الإنكليزيَّة، يقع في خمس وعشرين صفحة، ويظهر أثر محمَّد عليّ كمال الدين فيه بتفسيره لهذا الكتاب وإعادة نشره بأسـلوب مشـوِّق، يمكِّن القارئ الاسـتفادة منـه، وقد ألَّفه بـين عامـي ١٩٢٨-١٩٢٩م، ذكره مؤلِّفـه في مذكِّراته، مع كتاب آخر هو (رسـالة في الإجتماع) كتاب مساعد لإحدى المقرَّرات الدراسيَّة[٤٢].

أمَّـا آثـاره المخطوطـة فتمثَّلت في أربعـة كتبٍ هـي: (المعلومات المدنيَّـة) مجموعة محـاضرات ألقاهـا على طلبته في المـدارس الثانويَّة تخصُّ مادة التربيـة الوطنيَّة، و(رحلة إلى سـوريا ولبنان) وثّق فيها مشاهداته لسـفرته تلك في عام ١٩٦٣م، و(تقارير في علم المنطق)، و(رسـالة الأمَّة العربيَّة) ضمَّ آراءً بخصوص التطوُّرات السياسيَّة والاجتماعيَّة التي وقعت في الأقطار العربيَّة في النصف الأوَّل من القرن العشرين[٤٣].

المبحث الثاني

كتاب (النجف الأشرف في ربع قرن منذ عام ١٩٠٨)
مضامينه، أهميَّته، اتجاهات كتابته

صـدر هذا الكتاب مطبوعًا في بيروت عام ٢٠٠٥م بتحقيق الدكتور كامل سـلمان الجبوريّ وتعليقه (١٩٤٩-...)، والذي يُعدُّ من الباحثين المتخصِّصين في تاريخ النجف الأشرف والكوفة، قدَّم كثيرًا من الأعمال فيما يخصّ حقل التحقيق والمعرفة التاريخيَّة(٤٤). ولكتاب (النجف الأشرف في ربع قرن منذ عام ١٩٠٨م) مكانة بارزة من بين مؤلَّفات محمَّـد عليّ كمال الدين؛ إذ وضع في ٢٧٢ صفحة وخمسـة فصول معظم رؤاه وتصوُّراته عن الأوضـاع العامَّة في النجف إبان مطلع القرن العشرين، تلـك المدينة التي وُلد فيها ونشأ، وقضى بين جنباتها أُوْلى سنوات شبابه وأكثرها زخمًا بالنضال والعمل الجمعيّ مع أبناء وطنه ضد الوجود الأجنبيّ. أعطى المؤلِّف فكرة عامَّة عن النجف من حيث نشأتها وطابعهـا الذي تتَّصـف به، وما تعرَّضت له هـذه المدينة إبان حقبة الحكـم العثمانيّ من محـنٍ وويلاتٍ وتطوُّراتٍ، وغيرها من التفاصيل التـي تخصُّ جغرافيَّة النجف وأماكنها العامَّة وتطوُّرها الاجتماعيّ والعمرانيّ، فضلًا عن التطوُّرات السياسـيَّة والأمنيَّة، وأبرز الأحزاب الناشئة والناشطة فيها(٤٥).

ولقد أولى المؤلِّف عناية كبيرة بالجانب الاجتماعيّ، وخصَّص له قدرًا مهمًّا في كتابه، موضِّحًا بعض مظاهر الحياة الاجتماعيَّة النجفيَّة المميَّزة لتاريخ هذه المدينة، مثل الانقسام

الحـاد الذي تعرَّض لـه مجتمعها إلى تحالفين متناحرين هما (الزكرت والشـمرت)، وهما تحالفـان قبليَّـان تقاتلا مدَّة طويلة مـن الزمن تصل إلى عقود، منذ مطلع القرن التاسـع عشر[٤٦]، محدِّدًا أسـبابًا ثلاثـة لذلك الصدع التاريخيّ في جسـم المجتمع النجفيّ، وهي بحسـب رأيه: أنَّ النجـف كانت تعيش مرحلة غير متكاملة من الاسـتقرار السـكَّانيّ، اسـتمرَّ فيها تطوُّر المجتمـع الحضريّ ونموِّه وتدفُّـق المهاجرين من الريـف إلى المدينة؛ وذلك «لأنَّ طبيعة الاجتماع لا يعتريها المرض والتفسُّـخ إلَّا بعد اجتيازها دور التكامل سنَّة الله في أرضه»[٤٧].

وقد أشـار محمَّد عليّ إلى السـببين الآخرين اللَّذين عقَّدا مراحل الصراع الأخرى، وجعلها تكتسـح المجتمع النجفـيّ وتتطوَّر إلى المرحلتين الثانية والثالثة، الثانية: سـبَّبها حـادث اغتيال السـيِّد محمود الرحباويّ سـنة ١٨١٣م، والرحبـاويّ نجفيّ كان يقطن منطقة (الرحبة) جنوب النجف، وله فيها مزارع واسـعة، وقد اتُّهم بقتله أحد النجفيِّين المنتمين إلى جماعة الزكرت على خلفيَّة الشـكِّ بعدم تقديمه المسـاعدة في مقارعة القبائل النجديَّـة المعتنقـة للدعوة السـلفيَّة المغيرة على أطـراف النجف آنـذاك، أو امتناعه عن تلبية دعوة المرجع الدينيّ الكبير الشـيخ جعفر كاشـف الغطاء (١٧٤٣-١٨١٣م)[٤٨] لحضور(مجلس الشرع) لشـكوى بني عمِّه منـه لخلافات بينهما حول أراضٍ زراعيَّة[٤٩]. والثالثة: مقتل أحد أفراد عشـيرة آل بقر الشـام النجفيِّين، وانقسـام العشائر النجفيَّة في الاصطفاف مع ذوي القتيل أو مع جماعة القاتل[٥٠].

وفضلًا عن الصراع العشـائريّ بين النجفيِّين، فإنَّ كمال الدين أشـار إلى الانقسـام الطبقـيّ بينهم، فقد صنَّفهم إلى طبقاتٍ ثلاث، هي: ١. أبناء العشـائر العراقيَّة العربيَّة، وأطلق عليهم (المشـاهدة)، وتأتي هذه التسـمية نسبةً إلى مشـهد المرقد العلويّ المطهَّر، ٢. المهاجريـن الأجانب على اختلاف انتماءاتهم، ٣. رجال الدين وما أسـماها بـ(الطبقة

الروحيَّة) من العلماء وطلبة الحوزة العلميَّة. وقد أشار إلى أنَّ كلًّا من هذه الطبقات تكمِّل الأخرى في عمليَّة التنمية الاقتصاديَّة والبشريَّة، وتلبية الحاجات الأساسيَّة الأخرى(٥١).

وتحدَّث كمال الدين عن معالم النجف الدينيَّة والتاريخيَّة، فقد أعطى مثلًا صورة دقيقة للمرقد العلويّ المطهَّر، وما فيه من هيأة عمرانيَّة كالقبَّة الشريفة وشكلها، والصحن الحيدريّ ومآذنه وأواوينه المنتشرة حوله، والضريح المقدَّس الذي على القبر(٥٢)، وما يمثِّله من قدسيَّة جليلة لدى النجفيِّين وغيرهم، فهم لا يزورونه ويتبرَّكون بأعتابه ويستلهمون قيم السموِّ والبطولة والإباء فحسب، بل يتَّخذ الفناء المفتوح أيضًا طلبة العلم مكانًا لتلقِّي دروسهم الفقهيَّة، والأدباء والشعراء للتباري بنتاجاتهم، والوطنيُّون مكانًا لتجمُّعاتهم المناهضة للسياسة الاستعماريَّة، ومنطلقًا لانتفاضاتهم الشعبيَّة(٥٣).

وأشار كمال الدين إلى عدد من المعالم التراثيَّة في المدينة مثل (مسجد الهنديّ)(٥٤) الذي يقع في إحدى محلَّات النجف الأربع، محلَّة الحويش، على يمين الخارج من الصحن الحيدريّ الشريف باتِّجاه شارع القبلة (الرسول صلى الله عليه وآله وسلم)، وقد بُني مع مطلع القرن التاسع عشر، وعدَّه ثاني أكبر المعاهد العلميَّة بعد المرقد المقدَّس؛ إذ إنَّ المسجد الهنديّ، فضلًا عن وظيفته العباديَّة، يستقبل العشرات من حلقات الدرس الحوزويّ، وتُلقى فيه المحاضرات الفقهيَّة بشكلٍ يوميّ بعد أداء فروض الصلاة(٥٥).

وتحدَّث المؤلِّف عن أهمِّ مظاهر الحياة الفكريَّة في النجف، كالمجلَّات والمطابع، وأشار إلى وجود أدباء بارزين وشعراء مُجيدين وصحف يكتب فيها ذوو الأقلام المبدعة(٥٦).

أمَّا المطابع والمؤلَّفات، فقد وصف محمَّد عليّ كمال الدين حالة النجف في مطلع القرن

العشرين، إذ لا توجد أي مطبعة، وكان معظم الكتَّاب والعلماء يرسلون مخطوطاتهم إلى مطابع الهند أو إيران الحجريَّة، لكن ومنذ عام ١٩١٢م جُلبت أوَّل مطبعة حديثة إلى النجف، إلَّا أنَّها سرعان ما تعطَّلت مع اندلاع الحرب العالميَّة الأولى ١٩١٤م، وبعد أن وضعت الحرب أوزارها، أُسِّست أكثر من مطبعة فيها، وأخذت على عاتقها طباعة كتب العلماء ودواوين الشعر(٥٧).

وممَّا يجدر ذكره في هذا الصدد أنَّ مصادر أخرى ذكرت أنَّ ضخامة النتاجات الفكريَّة النجفيَّة- فقهًا وأدبًا- دفعت أبناء المدينة إلى البحث عن وسيلة لطبع مؤلَّفاتهم في بلدهم بدلًا عن إرسالها إلى الخارج، لهذا افتُتح عددٌ من المطابع، مثل (المطبعة الخشبيَّة) عام ١٩٠٧م، و(مطبعة حبل المتين) ١٩٠٩م، و(المطبعة العلويَّة)، ثمَّ تلتها (مطبعة الغريّ) عام ١٩١٩م، و(المطبعة المرتضويَّة) عام ١٩٢٠م، و(مطبعة الزهراء) عام ١٩٢٧م(٥٨). ولم تكن مهمَّة المطابع المذكورة تقتصر على طباعة الكتب والمؤلَّفات، وإنَّما تعدَّتها إلى المجلَّات والصحف النجفيَّة التي يغلب عليها الطابع الأدبيّ والدينيّ المنوَّع، وبدأت تكثر وتتطوَّر في تلك المرحلة، مثل مجلَّة الغريّ التي صدرت عام ١٩٠٩م، وهي مجلة شهريَّة دينية أدبية، ومجلَّة العلم التي صدرت عام ١٩١٠م، ومجلَّة الحيرة التي صدرت عام ١٩٢٧م، وعرَّج على ذِكر عدد كبير آخر من الصحف النجفيَّة(٥٩)، لكنَّه أشار بروح المؤرِّخ الناقد إلى الحرج الشديد الذي كان يعانيه كتَّاب النجف ونخبتها المثقَّفة من نظرة المنغلقين القاصرة إلى أمر الصحف، وقيامهم بامتهان قارئيها والتضييق عليهم اجتماعيًا مهما كانت سيرتهم حسنة أو نواياهم طيِّبة، لذا اضطروا إلى الانزواء خلف الكواليس حينما يقتنون ويقرؤون الصحف العربيَّة أو الأجنبية أو حتَّى المحليَّة، خوفًا من ملاحقة المتشدِّدين، وعلى الرغم من كلِّ تلك المعاناة فقد واصلوا مسيرتهم بشجاعة حاملين رسالتهم السامية إلى برِّ الأمان، ويعبِّر عن ذلك بالقول: «وربَّما هال القارئ كثرة عدد

الصحف الواردة للنجف، فاستنتج كثرة قارئيها، ولكن لا أظنُّ أنَّ عدد القارئين يتجاوز المئة من إخواننا الإيرانيِّين، والخمسين من العراقيِّين الموظَّفين والأهليِّين، ومعظم هؤلاء المطالعين من الروحيِّين، وكانوا يتحرَّجون من الجهر بقراءة الصحف في الأماكن العامَّة كالأسواق والمجالس، وفي الصحن الشريف، إنَّما يختبئون عند قراءتها. والويل كلُّ الويل لمن تراه العامَّة حاملًا صحيفة بيده؛ إذ ينهال عليه السبُّ والشتم والطعن على أن لا يُرى أو يُسمع ما أمكن. ولكن هي التضحية التي يقوم بها بعضُ أفرادٍ تأصَّلت مبادؤهم، وتشرَّبت نفوسهم روح الاخلاص، هي التضحية تدفعهم إلى صدم العامَّة، وتحمُّلهم على تلقِّي الصعوبات والأذى بصدرٍ رَحِب في نيل غرضم الساميّ ومثلهم الأعلى»[٦٠].

وفي حديثه عن النوادي الثقافيَّة (المجالس)، والمكتبات العامة، حفظ لنا كمال الدين عددًا من أسماء المكتبات الأهليَّة العامَّة التي كانت في النجف واندرست معالمها بمرور الزمن، مثل المكتبة الحسينيَّة في محلَّة العمارة، ومكتبة المدرسة المرتضويَّة المار ذكرها سلفًا، والتي يرتادها بعض محبِّي المطالعة من طلبتها ومن غيرهم. وذكر عددًا من المجالس الثقافيَّة التي تقيمها البيوتات النجفيَّة، ويجتمع فيها الأدباء والشعراء وعلماء الدين ليطرحوا خلالها المسائل الفقهيَّة الشائكة والنكت الشعريَّة اللافتة، ليتداولوا فيها ويتناولونها بروح النقد تارةً والفكاهة تارةً أخرى[٦١]. والحديث عن مكتبات النجف له خصوصيَّة مهمَّة؛ نظرًا لأهميَّة دورها الرياديّ ومكانتها السامية بين مظاهر الحياة الفكريَّة للمدينة، فقد اكتسبت المكتبات النجفيَّة شهرة واسعة، فذكرها الكتَّاب والمؤرِّخون؛ لكثرة ما فيها من كتب ومخطوطات نفيسة، نذكر منها ما كان قائمًا آنذاك، مثل مكتبة الإمام عليّ عليه السلام، وتسمَّى أيضًا (الحيدريَّة)، وتقع داخل المرقد العلويّ المطهَّر، والمكتبة الحسينيَّة المشار إليها، وهي أوَّل مكتبة عامَّة في مدينة النجف الأشرف، فيها كتب قيِّمة، أُسِّست عام ١٩٠١م، ومكتبة الإمام كاشف الغطاء، أسَّسها الشيخ

عليّ بن الشيخ محمَّد رضا آل كاشف الغطاء (ت ١٨٨٣هـ) في أواخر القرن التاسع عشر، ومكتبة جمعية الرابطة الأدبيَّة أسَّسها بعض أدباء المدينة وشعراؤها مع تأسيس الجمعيَّة عام ١٩٣٢م[٦٢].

وخصَّص كمال الدين حيِّزًا مهمًّا من كتابه للحديث عن مدرسة الغريّ الأهليَّة، وربَّما يعود ذلك في رأيي إلى سببين، الأوَّل: مساهمته المباشرة في تأسيسها، والسعي لتوسيع أنشطتها الثقافية وتنظيمها وتطويرها بشكلٍ تدريجي، مثلما مرَّ، والثاني: أنَّها أوَّل مدرسة عربيَّة أهليَّة حديثة تؤسَّس في النجف، إذ لم يكن فيها سوى المدرسة الرشيديَّة العثمانيَّة التي أُغلقت مع انسحاب العثمانيِّين، والمدرستين الإيرانيَّتين (العلويَّة والمرتضويَّة). ويجد المتتبِّع في حديثه معلومات قيِّمة عن تطوُّر المدرسة وتنامي دورها في النهوض بالمستوى العلميّ لأبناء المدينة، وما لاقته المدرسة من المعارضة التي قادها التقليديُّون المنغلقون ضدَّها، والجهود الرائعة المبذولة للوقوف بوجههم، والمضي بذلك المشروع العلميّ الواعد[٦٣].

وعرَّج كمال الدين على ذكر المرافق الخدميَّة في النجف قديمًا، وتحدَّث عن المستوصفات الصحيَّة القليلة، وبداية دخول الطاقة الكهربائيَّة، ومضخَّات الماء ومشاريع الجداول المائيَّة، وقد تناول بدائيَّة تلك المشاريع، وصوَّر معاناة النجفيِّين لمئات السنين من شظف العيش، وندرة الخدمات، وصعوبة دخول وسائل التقنيَّة الحديثة، وانتقد تأخر تلك المشاريع وتعثُّرها[٦٤].

وللجانب السياسيّ أهميَّة كبيرة في هذا الكتاب، تمثَّلت في حديث محمَّد عليّ كمال الدين عن تفاصيل واسعة دارت في إطار الحياة السياسيَّة النجفيَّة، كادت تزول من ذاكرة المدينة ويعفى أثرها من تاريخها المعاصر؛ لولا فضل كمال الدين في تتبُّعها وتثبيتها، لذلك خصَّص ما يقارب نصف عدد صفحات كتابه في الفصل الخامس والأخير لهذا

المجال، ولعلَّه أفاد من اشتغاله مع ثلَّة من الشباب النجفيّ الواعي في الحركة الوطنيَّة العراقيَّة، الأمر الذي دفعه إلى تخليد النشاطات المباركة لشباب مدينته ورموزها ومناضليها الأوائل، فنراه مثلًا يشير إلى تأسيس فرع في النجف لجمعية الاتِّحاد والترقِّيّ العثمانيَّة بعد إعلان الدستور والانقلاب على السلطان عبد الحميد عام ١٩٠٨م[٦٥]، موردًا تفاصيل مهمَّة عن تصاعد نشاط المسؤولين الأتراك في النجف، وكثرة زيارات الوفود العثمانيَّة المرسلة من اسطنبول، والاجتماعات المنعقدة بينهم وبين الأعيان في النجف، مثبِّتًا أسماء أبرز الذين انتموا إليها مثل الشيخ جعفر آل مانع ومحمَّد سعيد كمال الدين والسيِّد محمَّد عليّ بحر العلوم، وأهمّ نشاطاتهم[٦٦].

وتحدَّث عمَّا أسماه بـ(الهيأة العلميَّة) التي تألَّفت في النجف بعد مدَّة وجيزة من تأسيس فرع الجمعيَّة المذكورة من علماء وطلبة العلوم الدينيَّة العرب والإيرانيِّين والقفقاسيِّين والهنود والأتراك وغيرهم، ولعلَّه ذكر ما لم تذكره المصادر المعاصرة وتأكيده على النفس التقريبيّ الذي تحلَّى به أولئك المعنيُّون، وكيف أنَّهم اتَّفقوا على إذابة المشاحنات والاختلافات والضغائن بين أبناء المذاهب الإسلاميَّة لاسيما بين الشيعة والسنَّة، وأوضح أنَّ كُلًّا من الهيأة والفرع اتَّفقا على التعاون والتآزر فيما يتعلَّق بالدفاع عن حقوق المسلمين ومصالحهم في الدولتين العثمانيَّة والقاجاريَّة ضد أطماع الغرب ومحاولاته للتغلغل في تلك البلاد[٦٧]. وضرب لنا مثلًا في وقوفهما المشترك ضد أطماع روسيا القيصريَّة، وفضح تدخُّلها السافر في شؤون إيران[٦٨] بدعمها (أي روسيا) لحاكم إيران القاجاريّ محمَّد عليّ شاه عام ١٩٠٩م[٦٩]، ووقوفهما ضد العدوان الإيطاليّ على ليبيا بين عامي ١٩١٠-١٩١٢م[٧٠]، وكيف أنَّهم أقاموا المظاهرات ونظَّموا الاضرابات في سبيل ذلك[٧١].

وتناول كمال الدين دور أهالي النجف (بعلمائهم ومجاهديهم) في مساندة العثمانيِّين

في عمليَّـة الدفاع عن أرض العراق ومقدَّسـاته ضـد قوات الغـزو البريطانيّ ١٩١٤-١٩١٥، ومـا جسَّـدوه من أروع معـاني البطولة والتضحية بالنفـس والنفيس في وقائع مشهودة سبقت معركة (الشعيبة) بوقتٍ طويلٍ؛ إذ إنَّهم جاهدوا في مناطق شرق البصرة وغرب القرنة، وذكر أسـماء عددًا من طلائع شـهدائهم وقادتهم الميدانيين لم يذكرها أي مصدر آخر(٧٢).

واسـتعرض أيضًـا الإسـهام الفاعـل للنجفيِّـين المجنَّدين والمتطوِّعـين في الجيش العثـمانيّ، أو المنضوين بين صفوف العشـائر المدافعة عن شرف العراق وطهارة أرضه في معارك الشعيبة، والعمارة، والكوت، وبغداد(٧٣).

وأشار الكاتب إلى أمر على جانب كبير من الأهميَّة، تمثَّل في رفض النجفيِّين القاطع لتدخُّل السـلطات العثمانيَّة في شـؤونهم المذهبيَّة وشـعائرهم الدينيَّة التـي اعتادوا على ممارسـتها سنويًّا، ولاسيما تلك المتعلِّقة بذكرى واقعة الطَّفِّ، وقد حمل بشدَّة على تعدِّي العثمانيِّـين على تلك الشـعائر، فيقول عـن ذلك: «إنَّ حماقة القائمّقام والشرطة سـوّلت لهم منع المواكب الحسـينيَّة عن التظاهر في الصحن الشريف أيَّام العشرة الأولى من شهر محرَّم الحرام، ولم تجدِ معهم كلّ وسـائل الإقناع التي توسَّـل بها النجفيُّون، فما كان إلَّا أن خرجـوا على أوامـر الحكومة خضوعًا لتقاليدهم المذهبيَّة، وزاد الطـين بلَّة أنَّ القائمّقام أمـر الشرطـة فأطلقت الرصاص عـلى المواكب وهي في الصحن الشريـف، فقتل كثيرًا مـن الإبرياء مـع امرأة، على الرغـم من هذه الجسـارة وهذا الإقـدام لم تتمكَّن الشرطة مـن الثبـات، واضطرَّها النجفيُّـون إلى الالتجاء والاختفـاء في دار الحكومة، ومنذ هذا الاعتداء الصريح غير المشروع، منذ هذه الاسـتهانة والاسـتهتار في التدخُّل في القضايا الدينيَّة والمذهبيَّة، منذ هـذا القتل الفظيع في المجمع الدينيّ المقدَّس، يبدأ تاريخ انقلاب النجفيِّـين في حكومتهم، يبـدأ تغيُّر اتجاه النجفيِّـين نحو الحكومـة العثمانيَّة... وأصبح

النجفيّ يعتقد أنَّ الحكومة العثمانيَّة حكومة معادية لا يطمئن لها»[٧٤].

وقد ازدادت دائرة النجفيِّين المؤيِّدين للانتفاض على الدولة العثمانيَّة المتداعية توسُّعًا؛ بسبب الإخفاقات والهزائم المتكرِّرة التي مني بها العثمانيُّون، والهزائم الكبيرة التي لحقت بهم أمام زحف القوات البريطانيَّة الدؤوب باتِّجاه بغداد[٧٥]. فقد تابع كمال الدين انتفاضة النجف ضد الحكم العثمانيّ عام ١٩١٥م، ومن المعروف أنَّ أحداثها لم تحظَ بالاهتمام الكافي أبدًا من الباحثين؛ نتيجة فقدان المعلومات التي بحوزتهم، وعدم ترابط أحداثها، بينما يقدِّم لنا في كتابه مادَّة ممتعة وجديدة عنها، بدءًا من هروب بعض الشباب من الخدمة في الجيش العثمانيّ بعد هزيمته في الشعيبة، وسوء معاملة ضبَّاطه للعرب وإهانتهم ومطارداتهم، فردَّ شباب النجف بمحاصرة مقار الحكومة وثكنات جيشها، وقيامهم بمهاجمتها وحرقها، وإطلاق سراح الجند والموظَّفين فيها[٧٦].

وتحدَّث السيِّد كمال الدين عن سنوات ثلاث، تعدُّ شحيحة بمعلوماتها، زاخرة بأحداثها، امتدَّت بين عامي ١٩١٥-١٩١٨م، جرى فيها تثبيت البريطانيِّين سلطتهم في منطقة الفرات الأوسط، واهتمامهم بترصين علاقاتهم مع زعمائها، فيما قام النجفيُّون بتحرُّكات مضادَّة أدَّت إلى اضطرار البريطانيِّين إلى تخفيف وجودهم العسكريّ المباشر، وانسحاب الكابتن بلفور (F.C. Bulfor)- أوَّل حاكم سياسيّ للواء النجف والشاميَّة- تدريجيًا من المناطق المحيطة بالمدينة، واستبدال الضبَّاط السياسيِّين بالكابتن مارشال الذي تمَّ اغتياله بعد أيَّام قلائل من وصوله بهجوم كاسح على حاميته العسكريَّة[٧٧].

وكان لانتفاضة النجف على البريطانيين في آذار-نيسان ١٩١٨م نصيبٌ وافرٌ من المادَّة التاريخيَّة الواردة في كتاب (النجف الأشرف في ربع قرن)؛ إذ أعطى صورة دقيقة للظروف الموضوعيَّة التي أحاطت بالانتفاضة، ودفعت القائمين عليها إلى التعجيل في إعلان ساعة الصفر، والكيفيَّة التي سار عليها البريطانيُّون في محاصرة النجف وقيامهم

بالتضييق عليها والتقدُّم التدريجي نحوها، والمحاولات الشجاعة لأبنائها لفكِّ الحصار وإجهاض خطط اقتحامها[٧٨].

ربَّما قام بعض الباحثين بدراسة الانتفاضة والخوض في تفاصيلها[٧٩]، لكنَّ الذي ميَّز كتابات كمال الدين عنها أنَّه أعطى صورة رائعة عن حالة الانتقام واللاإنسانيَّة التي انتهجها البريطانيُّون ضدَّ ثوَّار النجف، واعتبارهم أسرى حرب، وقيامها بنفيهم في ظروف مرعبة وبشعة، إذ يقول: إنَّ الأسرى كُبِّلت أيديهم وأرجلهم بسلاسل الحديد، وبعد أن قاسوا عذاب الركوب والنزول في الطريق من النجف إلى بغداد، ثمَّ إلى البصرة، وُضعوا في باخرة أقلَّتهم إلى الهند، وقد لاقوا من الامتهان والضرب الموجع ما يفوق حدَّ الوصف، وقد زادت مصيبتهم بأن عانوا كثيرًا من حرِّ البحر ورطوبته العالية، فاتَّقدت أفئدتهم الملتهبة بالآلام، وأراد بعضهم رمي نفسه في البحر، وحاولوا التمرُّد مرَّتين، لكنَّ الحرَّاس قمعوهم وأصابوا بعضهم بجراحات. وعند وصولهم إلى ميناء (بومباي) نزعوا ألبستهم وألقَوا عنهم الحديد والأصفاد، وأبدلت بملابس مناسبة يُظنُّ أنَّها أُحضرت لهم من قِبَل جمعية إسلاميَّة هنديَّة، وبعد ذلك تمَّ نقلهم بالقطار إلى (سمر بود) شمال الهند، ووضعوهم في قلعة كبيرة للاعتقال ضمن ثلاثة عشر ألف من الأسرى، ولم يعودوا إلَّا بعد إعلان الهدنة، وبقوا معتقلين بالبصرة حتَّى كفلهم أقرباؤهم بمبالغ طائلة، وجاءوا إلى النجف[٨٠].

المبحث الثالث

المقابلات والمشاهدات العيانيَّة وقيمتها العلميَّة بين مصادر الكتاب

على الرغم من أهميَّـة الوثيقة، وكما قيل: إنَّ التاريخ يُصنع من الوثائق التي خلَّفتها أفكار السـلف وأفعالهـم، لم يجد كـمال الدين حرجًا في اسـتخدام المشـاهدات العيانيَّة والمرويَّات الشـفويَّة مصدرًا أساسـيًّا، وأحيانًا الوحيد، لتقديـم معلومات تاريخيَّة على قَـدَر كبـير من الموضوعيَّة. وقد لاحـظ الباحث في ضوء قراءاتـه لكتابات كمال الدين، ولاسـيما كتابه هذا، أنَّه حينما يعتمد على الروايات الشـفاهيَّة يكـون حذرًا من العوامل الشـخصيَّة التي قد تشـوِّه المعلومة التاريخيَّة بالنظـرة الضيِّقة أو بالتحيُّـز الخاص، وأنَّ الصفة الموضوعيَّة كانت حاضرة في كتاباته، وروح النقد موجودة، بحيث إنَّك تجد عدم تأثُّره بالمسلَّمات الشائعة إلَّا حينما يخضعها لسلطة العقل.

ومثال للأحداث التي عاصرها بنفسـه ونقلها في كتابه، ما ساقه للقارئ ممَّا عَلق في ذاكرته وتأثَّرت به عاطفته، وهو ابن السابعة من العمر تقريبًا، وذلك حين ثارت براكين حرب شـعواء بين قبائل البادية القريبـة للنجف، وتحديدًا بين قبيلتي شـمَّر وعنزة على أطراف منخفض بحر النجف[٨١].

فكان يتسـلَّق التلال العالية القريبة من السور مع جمهرة من الناس، ويشحذ بصره مع المتطلِّعين في انتظار الأخبار، وترهف أذنه لسماع أزيز الرصاص وأحاديث الجمهور، وإذا بـه يتفاءل بانتصار شـمَّر وخذلان عنزة، وروى بعضًا مـن الأقاصيص عن بطولة

رجـال شـمَّر مع كيل المدح والإطراء لهـم، ويتذكَّر الطعن الموجَّـه إلى عنزة، ومنذ تلك الحادثة طُبعت نفسـه على حقد عظيم ضد عنزة وحب لشـمَّر بحسـب قوله[٨٢]. وهذا الميل النجفيّ لشـمَّر له أسـبابه؛ إذ إنَّ القبيلة المذكورة مسـؤولة عن ترويج تجارة البادية ورجالها، ينقلون السـلع والبضائع من حواضر الجزيـرة العربيَّة إلى النجف وبالعكس، وعلى هذا الأسـاس يوضع وقوف النجف مع شمَّر يوضع في منزلة الدفاع عن المصالح الحيويَّة؛ لكونها مدينة دينيَّة علميَّة أوَّلًا، وتجاريَّة ثانيًا، تقع على طرف البادية، وتحتاج إلى تأمين طرقها.

وروى لنـا مـا رواه له بعض المسـنِّين النجفيِّين، كيف إنَّ أهل النجف سـيَّروا أوَّل نجدة قويَّة إلى شـمَّر، ضربت مجاميع من قبيلة عنزة الذين كانوا محيطين بموكب لشـمَّر، يعمل في نقـل تجارة حائل إلى النجف، ضربتها في الصميم، وخلَّصت الركب والتجارة عنوةً[٨٣].

وأيضًا، لقد كان محمَّد عليّ كمال الدين شاهدًا شاخصًا على الانتفاضات والحركات الوطنيَّـة في عـصره، ومنها ثورة العشرين، تلـك التي دفعت بجموع الشـعب العراقيّ آنذاك إلى المطالبة باسـتغلال بلادهم وإطلاق حريَّاتهم، ثـمَّ الإصرار على رفض الحماية البريطانيَّـة بأيِّ صورة، فضـلًا عن رواياته عن إعداده جريدتي (الاسـتقلال والفرات) اللتين صدرتا في مدينة النجف الأشرف في أثناء الثورة، وكانا لسان حالها، تغطِّيان أنباء المعارك الحربيَّة في شتَّى جبهات القتال، وتنشر فتاوى علماء الدين[٨٤].

والتقـى كـمال الديـن مع مـن شـاهد مدينته النجـف مركـزًا لحلِّ بعـض القضايا والمشاكل بين قبائل الجزيرة العربيَّة والقبائل العراقيَّة، في الحضر والمدر، فقد كانت مركزًا للموادعات والأحلاف والمصالحة، وأنَّها كانت تنافس في مكانتها الكثير من مدن الجزيرة وتنازعها، وعبَّر عنها كمال الدين أنَّها: «سيف العراق المشهر دائمًا وأبدًا»[٨٥].

وقـد كان يروي من دون ذكر أيٍّ مصادر أحيانًا، إلَّا النزر، وينقل في الوقت نفسـه الـشيء الكثير مـن مشـاهداته العيانيَّة وبعض الروايات الشـفويَّة التي تنقل له بشـكلٍ مبـاشرٍ أو غير مباشر، فضلًا عن عـدد قليل من الكتب التاريخيَّة، مثـل كتاب (التاريخ السـائر في ذكرى عبد الحميد زاهد الثائر) لمؤلِّفه توفيـق زاهد الذي تحدَّث فيه عن أحد رجـال الثورة العراقيَّة الكبرى ١٩٢٠م ونشـأته ودوره الاجتماعـيّ ووفاته، إلى جانب ترجمة الكثير من الشـخصيَّات العراقيَّـة، والنجفيَّة خصوصًا[٨٦]. ورجع كمال الدين إلى كتاب (تحفة النظَّار في غرائب الأمصار وعجائب الأسـفار) لابن بطُّوطة الذي ذكر فيه الأماكـن المقدَّسـة في العراق، ومنها النجـف، وكتاب (تراجم مشـاهير الشرق) لمؤلِّفه جرجي زيدان الذي يتحدَّث عن شخصيَّات عربيَّة وسِيَر حياتهم[٨٧].

الخاتمة

اهتمَّ محمَّد عليّ كمال الدين بتاريخ النجف، وعُدَّ من مؤرِّخيها البارزين، وشاهدًا حيًّا على حقبة مهمَّة من تاريخ مدينته النجف ووطنه العراق، اتَّسمت أعماله- ولاسيما الكتاب موضوع البحث- بدقَّة التوصيف للوقائع التاريخية التي رسمها بذاكرة فذَّة قلَّ نظيرها. كان يدقِّق في الأسماء والتواريخ والوقائع بصورة كبيرة، ثمَّ يُقدِّم الأحداث بأسلوبٍ سلسٍ يمزج فيه مرويَّاته التاريخيَّة بالأدب والجغرافية. كانت لديه ثقافة واسعة، اكتسبها من خلال اطِّلاعه المعمَّق على مصادر المعرفة التاريخيَّة وعلاقاته الاجتماعيَّة الطيِّبة.

ومن المهمِّ القول إنَّ محمَّد عليّ كمال الدين قد وضع هدفًا عامًّا لمؤلَّفاته وأبحاثه التاريخيَّة، وهو إيجاد إضافة جديدة ومنفعة مجتمعيَّة عامَّة تصبُّ في خدمة الوطن، ولاسيما أنَّه كان يعيش مرحلة حسَّاسة من تاريخ البلاد، على مستوى تأسيس الدولة وصناعة المجتمع، ويستلزم الأمر حلولًا تتَّسم بالعقلانيَّة والواقعيَّة، وشعورًا بالمسؤوليَّة تجاه الأمَّة، تستنبط الإبداع بتحليل المعطيات الواقعيَّة للأمَّة وحاجاتها الفعليَّة، وشحذ ذاكرتها التاريخيَّة، واستلهام الدروس والعِبَر التي تتقارب مع الواقعيَّة، وتبتعد بقدرٍ معيَّن عن المثاليَّة.

هوامش البحث

(١) محمَّد حرز الدين، معارف الرجال في تراجم العلماء والأدباء، مطبعة الآداب، النجف الأشرف، ١٩٦٥، ج٣، ص١١٠-١١١.

(٢) يُنظر: عباس محمَّد الزبيديّ الدجيليّ، الدرر البهيَّة في أنساب عشائر النجف العربيَّة، مطبعة اليرموك، بغداد، ١٩٨٨، ج١، ص ١٩ و٢٦ و٣٧؛ ج٢، مطبعة الغري الحديثة، ١٩٩٠، ص١٣٨ و٣٦٦.

(٣) آقا بزرك الطهرانيّ، طبقات أعيان الشيعة (الضياء اللامع في عباقرة القرن التاسع)، بيروت، دار إحياء التراث العربيّ، ٢٠٠٩، ج٦، ص١٣٨.

(٤) حسن عيسى الحكيم، النجف الأشرف والحِلَّة الفيحاء: صلات علميَّة وثقافيَّة عبر عصور التاريخ، مطبعة الغريّ الحديثة، النجف ٢٠٠٦، ص٨٧-٨٨.

(٥) صباح نوري المرزوك، حِلِّيَّات الحكيم، مجلَّة كليَّة التربية الأساسيَّة، جامعة بابل، العدد٧، آيار ٢٠١٢، ص١٢٢.

(٦) يمكن الاطِّلاع على معلومات وافية عن واقع الحركة الفكريَّة في الحِلَّة في كتاب: صباح نوري المرزوك، النهضة الفكرية في الحِلَّة أرشيف الحياة الفكريَّة في الحِلَّة منذ تأسيسها حتى اتخاذها عاصمة للثقافة العراقيَّة، بغداد، دار الأرقم، ٢٠٠٨؛ عباس إبراهيم الجبوريّ وصباح نوري المرزوك، لمحات عن ماضي مدينة الحِلَّة وحاضرها، بغداد، مطبعة المتنبِّي، ٢٠٠٢، ص٣٧-٥٥.

(٧) محمَّد عليّ كمال الدين، ذكرى السيِّد عيسى آل كمال الدين، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٥٧، ص١٩-٢٠.

(٨) عن الأسر والمجالس العلميَّة والشخصيَّات التي أنجبتها مدينة الحِلَّة يُنظر: كريم مطر حمزة الزبيديّ ويوسف كاظم جغيل الشمريّ، صفحات من تاريخ الحِلَّة، عمَّان، مؤسَّسة دار الصادق الثقافيَّة، ٢٠١٣، ص٢٨٧-٢٩٥.

(٩) حسن عيسى الحكيم، مدرسة الحِلَّة العلمية ودورها في حركة التأصيل المعرفيّ، منشورات المكتبة الحيدريَّة، مطبعة شريعت، ١٤١١هـ، ص٣٣١-٢٤٢.

(١٠) هناء حسين علوان خوير، الاتجاهات الحديثيَّة لدى فقهاء الإماميَّة فخر المحقِّقين أنموذجًا،

أطروحة دكتوراه، كلِّيَّة الفقه، جامعة الكوفة، ٢٠١٢، ص١١-١٢.

(١١) حسن دخيل الطائيّ، النهضة الأدبيَّة في الحِلَّة واتجاهاتها الوطنيَّة ١٨٠٠-١٩٢٠، مجلَّة جامعة بابل للعلوم الإنسانيَّة، مج٢٠، العدد ١، ٢٠١٢، ص٧٧-٧٨.

(١٢) ستار علك عبد الكاظم الطفيليّ،التطوُّرات السياسيَّة في العراق وموقف النخبة السياسيَّة البرلمانيَّة في لواء الحِلَّة منها ١٩٣٩-١٩٥٨، رسالة ماجستير، كلِّيَّة التربية، جامعة بابل، ٢٠٠٣، ص ٣٨.

(١٣) محمَّد عليّ اليعقوبيّ، البابليَّات، المطبعة العلميَّة، النجف، ١٩٥٤، ج١، ص١٥١.

(١٤) يُنظر: جعفر الحِلِّيّ، سحر بابل وسجع البلابل، ديوان شعر، تحقيق: محمَّد حسين كاشف الغطاء، بيروت، دار الأضواء، ٢٠٠٣.

(١٥) للاطِّلاع على ترجمة لهؤلاء العلماء والشعراء يُنظر: سعد الحدَّاد، موسوعة أعلام الحِلَّة منذ تأسيس الحِلَّة حتى نهاية ٢٠٠٠، بابل، مكتب الغسق، ٢٠٠١، ج١، ص٣٦ و٧ و٢٤٩ و٢٥١.

(١٦) عليّ الخاقانيّ، مقدّمة كتاب ثورة العشرين في ذكراها الخمسين معلومات ومشاهدات في الثورة العراقيَّة الكبرى لسنة ١٩٢٠ لمؤلِّفه محمَّد عليّ كمال الدين، بغداد، دار التضامن، ١٩٧١، ص١-٢.

(١٧) أسعد محمَّد عليّ النجَّار، الدرس النحويّ في الحِلَّة، مركز بابل للدراسات الحضاريَّة التاريخيَّة، ص ٤٧-٤٨.

(١٨) للتفاصيل يُنظر: سيف نجاح مرزه أبو صبيع، تاريخ النجف الفكريّ في عهد المماليك ١٧٥٠-١٨٣١، رسالة ماجستير، كلية الاداب، جامعة الكوفة، ٢٠٠٥، ص ٦٦-٨٨.

(١٩) كاظم عبود الفتلاويّ، المنتخب من أعلام الفكر والأدب، مؤسَّسة المواهب، بيروت، ١٩٩٩، ص٥٧٤.

(٢٠) المصدر نفسه، ص٥٧٤؛ صائب عبد الحميد، معجم مؤرِّخي الشيعة، مطبعة محمَّد، قمّ، ٢٠٠٤، ج٢، ص ٢٧٥-٢٧٦.

(٢١) كامل سلمان الجبوريّ، مذكِّرات السيِّد محمَّد عليّ كمال الدين، مطبعة العانيّ، بغداد، ١٩٨٦، ص١١.

(٢٢) المصدر نفسه، ص١١-١٢.

(٢٣) محمَّد عليّ كمال الدين، ثورة العشرين في ذكراها الخمسين، المصدر السابق، ص١٢.

(٢٤) كامل سلمان الجبوريّ، النجف الأشرف ومقتل الكابتن مارشال ١٩١٨، بيروت، دار القارئ للنشر والتوزيع، د.م، ٢٠٠٥، ص٤٢-٤٨.

(٢٥) محمَّد عليّ كمال الدين، النجف الأشرف في ربع قرن منذ سنة ١٩٠٨، تحقيق وتعليق: كامل سلمان الجبوريّ، بيروت، دار القارئ للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٥، ص١٨٤؛ فريق مزهر الفرعون، الحقائق الناصعة في الثورة العراقيَّة سنة ١٩٢٠ ونتائجها، بغداد، مطبعة النجاح، ١٩٥٢، ص٧٧.

(٢٦) محمَّد عليّ كمال الدين، النجف الأشرف في ربع قرن، ص٢٤٨.

(٢٧) حميد المطبعيّ، موسوعة أعلام العراق في القرن العشرين، دار الشؤون الثقافيَّة، بغداد، ١٩٩٥، ص١٩٣-١٩٤.

(٢٨) كامل سلمان الجبوريّ، مذكّرات السيِّد محمَّد عليّ كمال الدين، ص١١-١٢.

(٢٩) محمَّد عليّ كمال الدين، ثورة العشرين في ذكراها الخمسين معلومات ومشاهدات في الثورة العراقيَّة الكبرى لسنة ١٩٢٠، بغداد، مطبعة التضامن، ١٩٧١، ص١٠.

(٣٠) المصدر نفسه، ص١٠-١١؛ كامل سلمان الجبوريّ، مذكّرات السيِّد محمَّد عليّ، ص١٢؛ صائب عبد الحميد، المصدر السابق، ص٢٧٦.

(٣١) عبد الستار شنين الجنابيّ، تاريخ النجف الاجتماعيّ ١٩٣٢-١٩٦٨، بيروت، مطبعة ديموبرس، ٢٠١٠، ص٤٢٥.

(٣٢) كامل سلمان الجبوريّ، مذكّرات السيِّد محمَّدعليّ كمال الدين،ص١٢.

(٣٣) كاظم عبود الفتلاويّ، ص٥٧٥؛ محمَّد عليّ كمال الدين، ثورة العشرين في ذكراها، ص١٠.

(٣٤) محمَّد عليّ كمال الدين، النجف الاشرف في ربع قرن، ص٢٣.

(٣٥) للاطِّلاع على تفاصيل حياة (سعد محمَّد صالح جريو) ودوره السياسيّ والاجتماعيّ والإداريّ في تاريخ العراق المعاصر يُنظر: ستار جبار الجابريّ، سعد صالح ودوره السياسيّ في العراق، ط١، بغداد، مطبعة المشرق، ١٩٩٧.

(٣٦) للمزيد من المعلومات عن هذا الكتاب يُنظر: محمَّد عليّ كمال الدين، سعد صالح، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٤٩؛ ستار جبَّار الجابريّ، المصدر السابق، ص٤٢.

(٣٧) محمَّد عليّ كمال الدين، ذكرى السيِّد عيسى آل كمال الدين، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٥٧، ص١-٢٥.

(٣٨) كامل سلمان الجبوريّ، مذكِّرات السيِّد محمَّد عليّ كمال الدين، ص١-٥.

(٣٩) محمَّد عليّ كمال الدين، التطوُّر الفكريّ في العراق، شركة التجارة، بغداد، ١٩٦٠.

(٤٠) محمَّد عليّ كمال الدين، ثورة العشرين في ذكراها الخمسين، ص١١.

(٤١) محمَّد عليّ كمال الدين، النجف الأشرف في ربع قرن، ص١٦-١٧.

(٤٢) المصدر نفسه، ص١٧.

(٤٣) عليّ الخاقانيّ، مقدّمة كتاب ثورة العشرين، ص١١.

(٤٤) للتفاصيل عن حياة (كامل سلمان الجبوريّ) وجهوده في حقل المعرفة التاريخيّة، يُنظر: وسن صاحب الجبوريّ، وثائق ثورة العشرين في كتابات كامل سلمان الجبوريّ دراسة تحليليَّة، النجف، دار المواهب للطباعة والنشر، ٢٠١٣م.

(٤٥) للمزيد من التفاصيل يُنظر: محمَّد عليّ كمال الدين، النجف الأشرف في ربع قرن، ص٧٣.

(٤٦) للتفاصيل يُنظر: كاظم محمَّد عليّ شكر، تاريخ حركة الشمرت والزكرت، (مخطوطة)، محفوظة في مكتبة مؤسَّسة كاشف الغطاء، النجف الأشرف، رقم (٧٣٠)، ١٩٩٥م، ورقة ٢-٣ وما بعدها.

(٤٧) المصدر نفسه، ورقة ٣٨.

(٤٨) هو الشيخ جعفر بن الشيخ خضر الجناجيّ المالكيّ، ولد في النجف عام ١٧٤٣م، وترعرع فيها وتتلمذ على أيدي كبار علمائها، كان أستاذًا كبيرًا في الفقه وعلم الكلام، واسع المعرفة بالأحكام، قاد عملية التصدِّي للهجمات الوهابيَّة على إلى النجف، ترك عددًا من المؤلَّفات القيِّمة، أبرزها (كشف الغطاء عن خفيَّات مبهمات الشريعة الغرَّاء)، و(القواعد الجعفريَّة في شرح أبواب المكاسب). توفِّي عام ١٨١٣م. يُنظر: محسن الأمين العامليّ، أعيان الشيعة، تحقيق: حسن الأمين، ط٥، بيروت، دار التعارف للمطبوعات، ٢٠٠٠، ج٤، ص١٠٠.

(٤٩) يُنظر: مجموعة باحثين، موسوعة تاريخ النجف الأشرف السياسيّ الحديث والمعاصر، جميل موسى النجَّار، مركز النجف الأشرف للتأليف والتوثيق والنشر، ج١، ٢٠١٣، ص٤٨-٤٩.

(٥٠) المصدر نفسه، ص٤٠-٤١.

(٥١) محمَّد عليّ كمال الدين، النجف الأشرف في ربع قرن، ص٦١-٦٤.

(٥٢) عن تاريخ المرقد المطهَّر ووصفه العمرانيّ، يُنظر: حسن عيسى الحكيم، المفصَّل في تاريخ النجف الأشرف، ج٢ (تاريخ المرقد الحيدريّ الشريف)، قمّ، مطبعت شريعت، ١٤٢٧هـ، ص٧-١١٧.

(٥٣) محمَّد عليّ كمال الدين، النجف الأشرف في ربع قرن، ص٥٨.

(٥٤) محمَّد حسين بن عليّ بن محمَّد حرز الدين، تاريخ النجف الأشرف، تحقيق: عبد الرزاق محمَّد حسين حرز الدين، قمّ، مطبعة نكارش، ١٤٢٧هـ، ص٢٥٩.

(٥٥) محمَّد عليّ كمال الدين، النجف الأشرف في ربع قرن، ص٦١.

(٥٦) المصدر نفسه، ص٧٧-٨٣.

(٥٧) المصدر نفسه، ص٨٠-٨٣.

(٥٨) للمزيد من التفاصيل عن المطابع النجفيَّة والمظاهر الأخرى للحياة الفكريَّة في النجف يُنظر: محمَّد باقر أحمد البهادليّ، الحياة الفكريَّة في النجف الأشرف، إيران، مطبعة ستارة، ٢٠٠٤، ص١٢٨-١٣٢.

(٥٩) عن الصحف النجفيَّة في تلك المدَّة يُنظر: كاظم مسلم العامريّ، الاتِّجاه الوطنيّ والقوميّ للصحافة النجفيَّة ١٩٠٨-١٩٣٢، أطروحة دكتوراه، جامعة الكوفة، كلِّيَّة الآداب، ٢٠٠٠، ص٦٢-٦٣؛ عليّ الخاقانيّ، تاريخ الصحافة في النجف، بغداد، مطبعة الجمهوريَّة، ١٩٦٩، ص٧-٨.

(٦٠) محمَّد عليّ كمال الدين، النجف الأشرف في ربع قرن، ص٧٩.

(٦١) المصدر نفسه، ص٨٤.

(٦٢) يُنظر: جعفر الخليليّ، موسوعة العتبات المقدَّسة، قسم النجف، بغداد، دار التعارف، ١٩٦٦، ج٢، ص٢٤٣؛ عبد الهادي الفضليّ، دليل النجف الأشرف، النجف، مطبعة الآداب، ١٩٦٥، ص٨١. وللتفاصيل عن الجهود العلميَّة لجمعيَّة الرابطة الأدبيَّة يُنظر: حسن عيسى الحكيم، المفصل، ج١٨، ص٨٩-٩٨.

(٦٣) للتفاصيل يُنظر: محمَّد عليّ كمال الدين، النجف الأشرف في ربع قرن، ص٨٧-٩٣.

(٦٤) المصدر نفسه، ص٧٧-٧٩، وص١٢٥-١٢٦.

(٦٥) المصدر نفسه، ص١٣٨-١٣٩.

(٦٦) المصدر نفسه، ص١٣٨-١٥٣.

(٦٧) المصدر نفسه، ص١٤٢-١٤٥.

(٦٨) المصدر نفسه.

(٦٩) للتفاصيل عن الدعم الروسيّ لمحمَّد عليّ شاه يُنظر: صباح كريم رياح الفتلاويّ، إيران في عهد محمَّد عليّ شاه ١٩٠٧-١٩٠٩، رسالة ماجستير، كلِّيَّة الآداب، جامعة الكوفة، ٢٠٠٣، ص١٥٢-١٦٢.

(٧٠) محمَّد عليّ كمال الدين، النجف الأشرف في ربع قرن، ص١٤٢-١٤٥.

(٧١) المصدر نفسه، ص١٤٧-١٤٩.

(٧٢) المصدر نفسه، ص١٧٢-١٧٣.

(٧٣) المصدر نفسه، ص١٧٥.

(٧٤) المصدر نفسه، ص٤٤.

(٧٥) عبد الرزاق الحسنيّ، الثورة العراقيَّة الكبرى، بغداد، ١٩٧٤، ص٧٩-٨٠؛ منذر جواد مرزه،

مختصر تاريخ النجف الأشرف ومن أسماء رجالها وشعرائها، النجف عاصمة الثقافة الإسلاميَّة، ٢٠١٣، ص١٨٧.

(٧٦) محمَّد عليّ كمال الدين، النجف الأشرف في ربع قرن، ص١٦٠-١٦٢.

(٧٧) المصدر نفسه، ص١٨٠-١٨٤.

(٧٨) المصدر نفسه، ص١٩٢-١٩٣.

(٧٩) يُنظر على سبيل المثال: حسن الأسديّ، ثورة النجف على الأنكليز أو الشرارة الأولى لثورة العشرين، بغداد، دار الحريَّة للطباعة، ١٩٧٥؛ حميد عيسى حبيبان، حقائق ناصعة عن ثورة النجف الكبرى ١٩١٧، النجف، مطبعة الغريّ الحديثة، ١٩٧٠؛ عبد الرزاق الحسنيّ، ثورة النجف بعد مقتل حاكمها المارشال، بيروت، د.مط، ١٩٧٢.

(٨٠) محمَّد عليّ كمال الدين، النجف الأشرف في ربع قرن، ص١٩٦-١٩٧.

(٨١) المصدر نفسه.

(٨٢) المصدر نفسه، ص٤٢.

(٨٣) المصدر نفسه، ص٤١-٤٢.

(٨٤) المصدر نفسه، ص١٢-١٣.

(٨٥) المصدر نفسه، ص٣٨-٣٩.

(٨٦) المصدر نفسه، ص٣٢.

(٨٧) المصدر نفسه، ص١٤٤.

المصادر والمراجع

أوَّلًا: الرسائل والأطاريح الجامعية

١. صباح كريم رياح الفتلاويّ، إيران في عهد محمَّد عليّ شاه ١٩٠٧-١٩٠٩، رسالة ماجستير، كلِّيَّة الآداب، جامعة الكوفة، ٢٠٠٣.

٢. ستار علك عبد الكاظم الطفيليّ،التطوُّرات السياسيَّة في العراق وموقف النخبة السياسيَّة البرلمانيَّة في لواء الحِلَّة منها ١٩٣٩-١٩٥٨، رسالة ماجستير، كلِّيَّة التربية، جامعة بابل، ٢٠٠٣.

٣. سيف نجاح مرزه أبو صبيع، تاريخ النجف الفكريّ في عهد المماليك ١٧٥٠-١٨٣١، رسالة ماجستير، كلِّيَّة الآداب، جامعة الكوفة، ٢٠٠٥.

٤. هناء حسين علوان خوير، الاتِّجاهات الحديثيَّة لدى فقهاء الإماميَّة فخر المحقِّقين أنموذجًا، أطروحة دكتوراه، كلِّيَّة الفقه، جامعة الكوفة، ٢٠١٢.

٥. كاظم مسلم العامريّ، الاتِّجاه الوطنيّ والقوميّ للصحافة النجفيَّة ١٩٠٨-١٩٣٢، أطروحة دكتوراه، جامعة الكوفة، كلِّيَّة الآداب، ٢٠٠٠.

ثانيًا: الكتب المطبوعة

٦. أسعد محمَّد عليّ النجَّار، الدرس النحويّ في الحِلَّة، مركز بابل للدراسات الحضارية التاريخية.

٧. آقا بزرك الطهرانيّ، طبقات أعيان الشيعة (الضياء اللامع في عباقرة القرن التاسع)، بيروت، دار إحياء التراث العربيّ، ٢٠٠٩.

٨. جعفر الحِلِّيّ، سحر بابل وسجع البلابل، ديوان شعر، تحقيق: محمَّد حسين كاشف الغطاء، بيروت، دار الأضواء، ٢٠٠٣.

٩. جعفر الخليليّ، موسوعة العتبات المقدَّسة، قسم النجف، بغداد، دار التعارف، ١٩٦٦.

١٠. حسن الأسديّ، ثورة النجف على الإنكليز أو الشرارة الأولى لثورة العشرين، بغداد، دار الحريَّة للطباعة، ١٩٧٥.

١١. حسن عيسى الحكيم، مدرسة الحِلَّة العلمية ودورها في حركة التأصيل المعرفيّ، منشورات المكتبة الحيدريَّة، مطبعة شريعت، ١٤١١هـ.

١٢. حسن عيسى الحكيم، المفصَّل في تاريخ النجف الأشرف، ج١ (تاريخ المرقد الحيدريّ الشريف)، قمّ، مطبعت شريعت، ١٤٢٧هـ.
١٣. حسن عيسى الحكيم، النجف الأشرف والحِلَّة الفيحاء: صلات علميَّة وثقافيَّة عبر عصور التاريخ، مطبعة الغريّ الحديثة، النجف ٢٠٠٦.
١٤. حميد عيسى حبيبان، حقائق ناصعة عن ثورة النجف الكبرى ١٩١٧، النجف، مطبعة الغريّ الحديثة، ١٩٧٠.
١٥. حميد المطبعي، موسوعة أعلام العراق في القرن العشرين، دار الشؤون الثقافيَّة، بغداد، ١٩٩٥.
١٦. ستار جبَّار الجابريّ، سعد صالح ودوره السياسيّ في العراق، ط١، بغداد، مطبعة المشرق، ١٩٩٧.
١٧. سعد الحدَّاد، موسوعة أعلام الحِلَّة منذ تأسيس الحِلَّة حتى نهاية ٢٠٠٠، بابل، مكتب الغسق، ٢٠٠١.
١٨. صائب عبد الحميد، معجم مؤرِّخي الشيعة، مطبعة محمَّد، قمّ، ٢٠٠٤.
١٩. صباح نوري المرزوك، النهضة الفكريَّة في الحِلَّة أرشيف الحياة الفكريَّة في الحِلَّة منذ تأسيسها حتَّى اتِّخاذها عاصمة للثقافة العراقيَّة، بغداد، دار الأرقم، ٢٠٠٨.
٢٠. عباس إبراهيم الجبوريّ وصباح نوري المرزوك، لمحات عن ماضي مدينة الحِلَّة وحاضرها، بغداد، مطبعة المتنبي، ٢٠٠٢.
٢١. عبَّاس محمَّد الزبيديّ الدجيليّ، الدرر البهيَّة في أنساب عشائر النجف العربيَّة، مطبعة اليرموك، بغداد، ١٩٨٨، ج١-٢، مطبعة الغريّ الحديثة، ١٩٩٠.
٢٢. عبد الرزاق الحسنيّ، ثورة النجف بعد مقتل حاكمها المارشال، بيروت، د.مط، ١٩٧٢.
٢٣. عبد الرزاق الحسنيّ، الثورة العراقيَّة الكبرى، بغداد، ١٩٧٤.
٢٤. عبد الستَّار شنين الجنابيّ، تاريخ النجف الاجتماعيّ ١٩٣٢-١٩٦٨، بيروت، مطبعة ديموبرس، ٢٠١٠.
٢٥. عبد الهادي الفضليّ، دليل النجف الأشرف، النجف، مطبعة الآداب، ١٩٦٥.
٢٦. عليّ الخاقانيّ، تاريخ الصحافة في النجف، بغداد، مطبعة الجمهوريَّة، ١٩٦٩.
٢٧. عليّ الخاقانيّ، مقدّمة كتاب ثورة العشرين في ذكراها الخمسين معلومات ومشاهدات في الثورة العراقيَّة الكبرى لسنة ١٩٢٠ لمؤلِّفه محمَّد عليّ كمال الدين، بغداد، دار التضامن، ١٩٧١.
٢٨. فريق مزهر الفرعون، الحقائق الناصعة في الثورة العراقيَّة سنة ١٩٢٠ ونتائجها، بغداد، مطبعة النجاح، ١٩٥٢.

٢٩. كاظم عبود الفتلاويّ، المنتخب من أعلام الفكر والأدب، مؤسَّسة المواهب، بيروت، ١٩٩٩.
٣٠. كامل سلمان الجبوريّ، مذكِّرات السيِّد محمَّد عليّ كمال الدين، مطبعة العانيّ، بغداد، ١٩٨٦.
٣١. كامل سلمان الجبوريّ، النجف الأشرف ومقتل الكابتن مارشال ١٩١٨، بيروت، دار القارئ للنشر والتوزيع، د.م، ٢٠٠٥.
٣٢. كريم مطر حمزة الزبيديّ ويوسف كاظم جغيل الشمريّ، صفحات من تاريخ الحِلَّة، عمَّان، مؤسَّسة دار الصادق الثقافيَّة، ٢٠١٣.
٣٣. مجموعة باحثين، موسوعة تاريخ النجف الأشرف السياسيّ الحديث والمعاصر، جميل موسى النجَّار، ج١، مركز النجف الأشرف للتأليف والتوثيق والنشر، ٢٠١٣.
٣٤. محسن الأمين العامليّ، أعيان الشيعة، تحقيق: حسن الأمين، ط٥، بيروت، دار التعارف للمطبوعات، ٢٠٠٠.
٣٥. محمَّد باقر أحمد البهادليّ، الحياة الفكريَّة في النجف الأشرف، إيران، مطبعة ستارة، ٢٠٠٤.
٣٦. محمَّد حسين بن عليّ بن محمَّد حرز الدين، تاريخ النجف الأشرف، تحقيق: عبد الرزاق محمَّد حسين حرز الدين، قمّ، مطبعة نكارش، ١٤٢٧هـ.
٣٧. محمَّد حرز الدين، معارف الرجال في تراجم العلماء والأدباء، مطبعة الآداب، النجف الأشرف، ١٩٦٥.
٣٨. محمَّد عليّ كمال الدين، سعد صالح، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٤٩.
٣٩. محمَّد عليّ كمال الدين، ذكرى السيِّد عيسى آل كمال الدين، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٥٧.
٤٠. محمَّد عليّ كمال الدين، التطوُّر الفكريّ في العراق، شركة التجارة، بغداد، ١٩٦٠.
٤١. محمَّد عليّ كمال الدين، ثورة العشرين في ذكراها الخمسين معلومات ومشاهدات في الثورة العراقيَّة الكبرى لسنة ١٩٢٠، بغداد، مطبعة التضامن، ١٩٧١.
٤٢. محمَّد عليّ كمال الدين، النجف الأشرف في ربع قرن منذ سنة ١٩٠٨، تحقيق وتعليق: كامل سلمان الجبوريّ، بيروت، دار القارئ للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٥.
٤٣. محمَّد عليّ اليعقوبيّ، البابليَّات، المطبعة العلميَّة، النجف، ١٩٥٤.
٤٤. منذر جواد مرزه، مختصر تاريخ النجف الأشرف ومن أسماء رجالها وشعرائها، النجف عاصمة الثقافة الإسلاميَّة، ٢٠١٣.
٤٥. وسن صاحب الجبوريّ، وثائق ثورة العشرين في كتابات كامل سلمان الجبوريّ دراسة تحليليَّة، النجف، دار المواهب للطباعة والنشر، ٢٠١٣.

ثالثًا: المخطوطات

٤٦. مخطوطة، محفوظة في مكتبة مؤسسة كاشف الغطاء، النجف الأشرف، رقم (٧٣٠)، ١٩٩٥م.

رابعًا: البحوث والدراسات

٤٧. حسن دخيل الطائيّ، النهضة الأدبيَّة في الحِلَّة واتِّجاهاتها الوطنيَّة ١٨٠٠-١٩٢٠، مجلَّة جامعة بابل للعلوم الإنسانيَّة، مج٢٠، العدد ١، ٢٠١٢.

٤٨. صباح نوري المرزوك، حِلِّيَّات الحكيم، مجلَّة كلِّيَّة التربية الأساسيَّة، جامعة بابل، العدد٧، أيار ٢٠١٢.